

*

Abstrak

Di tengah maraknya paham liberalisme penafsiran, kiranya relevan untuk mencoba melakukan telaah ulang atas peranan asbab an-nuzul, yang sebagaimana dikatakan Ibn Taimiyyah, sangat membantu seorang mufassir dalam memahami makna sebuah ayat.

Telaah intensif atas kitab-kitab asbab an-nuzul, memberikan gambaran kepada kita, bahwa setidaknya ada enam peranan yang dimainkannya: (1) Membantu memahami makna ayat serta menghilangkan kemusykilan-kemusykilan penafsiran didalamnya, (2) Turut membantu pengungkapan hikmah al-tasyri' dalam penetapan sebuah hukum, (3) Mengungkap tarikh tasyri' serta sosiokultural yang melingkupi turunnya sebuah ayat, (4) Mempermudah seorang mufassir untuk mengetahui munasabah/keserasian hubungan antar ayat/surat yang satu dengan yang lain, (5) Sebagai salah satu sumber penting biografi Rasulullah SAW., dan (6) Sebagai salah satu rukunan penting seorang da'i dalam menentukan metode yang paling tepat dalam dakwahnya.

Kata kunci: Asbab al-Nuzul, Tafsir, Tasyri' dan Hikmah.

المقدمة

يرى بعض الناس أنه لا فائدة في أسباب النزول، فهي مجرد تاريخ يذكر فلا جدوى من ذكرها والاهتمام بدراساتها، وهذا رأى ليس بصحيح فلأسباب النزول فوائد كثيرة، من تدبرها علم أهميتها حتى لقد قال الواحدى: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"¹. وقال الإمام ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"². وقال ابن دقيق العيد: "معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"³.

لذا نجد العلماء جعلوا من شروط المفسر أن يكون عالماً بأسباب النزول، وسوف أحاول في هذا البحث الموجز أن أبين مدى أهميتها، وأثرها في التفسير، وذلك في مبحثين، المبحث الأول في بيان معنى أسباب النزول، والمبحث الثاني في بيان أثر أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم، ثم أدبيل البحث بخاتمة.

المبحث الأول: معنى أسباب النزول

* Dosen Sekolah Tinggi Agama Islam Negeri (STAIN) Kediri

- (1) أسباب النزول، للواجدي، ص: 5
- (2) مقدمة في أصول التفسير، ص: 13
- (3) منهج الفرقان، محمد علي سلامة 160/ص 36

لفظ أسباب النزول مركب إضافي من كلمتين: أسباب، ونزول. فالأسباب من الناحية اللغوية جميع سبب والسبب كل ما يتوصل به إلى غيره، قال صاحب القاموس المحيط: "والسبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره ويجمع على أسباب، وأسباب السماء مرافقها أو نواحيها أو ابوابها، وقطع الله به السبب أي الحياة".
والنزول: مصدر نزل ينزل نزولا وهو الحلول والانحطاط من أعلى، قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "نزل: النزول في الأصل هو الانحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، قال تعالى: (أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) (المؤمنون: 29) ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله نعمه ونقمه على الخلق إعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك".⁴

ونزول القرآن على قسمين:

الأول: ما نزل ابتداء من غير سبب، وهو أكثر القرآن

الثاني: ما نزل مرتبطاً بسبب، وهو أقل القرآن

ومن هذا التمهيد انتقل إلى المعنى الاصطلاحي لسبب النزول: وهو الحادثة التي تقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو السؤال يوجه إليه فتتزل الآية أو الآيات أيام وقوع ذلك، مبينة لحكم تلك الحادثة أو مجيبة على ذلك السؤال. ومعنى التقييد بأيام وقوع ذلك: أن الحادثة أو السؤال لا يعتبران سبباً لنزول الآية أو الآيات إلا إذا نزلت عقب ذلك مباشرة، كما في حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزلت بسببها آيات الظهر في أول سورة المجادلة.⁵ أو تأخر نزولها يسيراً لحكمة، كما في حادثة الإفك، فقد نزلت الآيات بعدها بشهر كما رواها البخاري عن عائشة في حديث طويل تقتطف منه قول السيدة عائشة رضي الله عنها "وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأنى".⁶ الحديث

أما الحوادث القديمة، وقصص الأنبياء السابقين، فلا تعتبر أسباباً لنزول، لأنها لم تقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لذا أخذ على الواحدي جعله قدوم الأحباش إلى الحرام بالقيلة سبباً لنزول سورة الفيل. قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول، انه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح، وعاد، وثمود، وبناء البيت، ونحو ذلك".⁷

وكذلك ذكره في قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً (النساء: 125) سبب اتخاذه خليلاً، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى

وهذا لا يمنع من أن يكون لبعض هذه القصص والأخبار الماضية أسباباً لنزول كما روى الواحدي عن سعد بن أبي وقاص في نزول قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) (يوسف: 3) قال: أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زماناً فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى (الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص).⁸ (يوسف: 1 - 3).

(4) المفردات في غريب القرآن، الرابع الأصفهاني ص 378

(5) انظر تفصيل تلك الحادثة في أسباب النزول للواحدي ص: 433

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري حجر تفسير النور (454/8) وأسباب النزول للواحدي ص 333

(7) الإتيان للسيوطي 31/1

(8) أسباب النزول للواحدي (ص 273) وتفسير ابن كثير (467/2)

فيلاحظ هنا أن سبب النزول هو قول الصحابة رضي الله عنهم: لوقصصت علينا، وهذا القول حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت بعدها الآيات، وليس السبب ما تحدثت الآيات عنه من قصة يوسف، لأنها وقعت في الأزمان الماضية.

المبحث الثاني: أثر أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم

ولعل من أهم آثار أسباب النزول في التفسير ما يلي:

أولاً: إزالة الإشكال الوارد على الآية: ولذلك أمثلة كثيرة نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) سورة البقرة: (158).

فقد فهم عروة بن الزبير عدم فرضية السعي بين الصفا والمروة، لأن نفي الجناح يفهم منه عدم التكليف، فسأل عن هذا خالته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فبينت له أن الأمر ليس كما فهم، واستدلته على ذلك بسبب نزول الآية، وهو ما روي عن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: سألت عائشة رضي الله عنها: "أرأيت قول الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله. فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) الآية. فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة" قالت: "بئسما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت على ما أولتها كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون "لمناة" الطاغية التي كانوا يعبدونها عند "المشلل" وكانوا من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا: يارسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله عز وجل: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الآية، قالت عائشة: "وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما".⁹

فبالرجوع إلى سبب نزول الآية زال الإشكال عنها الذي أدى إلى فهم عدم شرعية السعي، وأن من تركته لا إثم عليه، والأمر خلاف هذا فليس لأحد أن يترك السعي بينهما كما دل على ذلك سبب النزول.

(2) قال تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) البقرة: 189، فالقاريء لهذه الآية الكريمة يشكل عليه نفي البر في إتيان البيوت من الخلف لأنه لا يعبر أن أحدا يرى أن في إتيان البيوت من الخلف برا - أي خيرا - ولكنه إذا رجع إلى سبب النزول وعزف أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يأتون بيوتهم إلا من الخلف، ويرون أن في ذلك برا، وقد عابوا رجلا حج ودخل بيته من بابه، فنزلت هذه الآية نتقي ما اعتقدوه وتثبت أن البر والخير في تقوى الله، لا في إتيان البيوت من ظهورها كما اعتقدوا، بل عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها. فعن البراء رضي الله عنه قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاجوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها. فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه عير بذلك فنزلت (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها)) فبالرجوع إلى سبب النزول يزول الإشكال.

(3) قوله تعالى: (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) الآية 93 من سورة المائدة.

(9) راجع: جامع الأصول لابن الأثير (15/2) وقد نسبته إلى البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي ومالك.

هذه الآية قد أشكلت على جماعة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يرون أن الخمر مباحة ويحتجون بالآية، ولكن عمر بن الخطاب عارضهم في ذلك، ورد ابن عباس عليهم بسبب نزول الآية، روى الدارقطني عنه: "أن عمر بن الخطاب أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب، فأمر به أن يجلد فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله، فقال عمر: وأي كتاب الله تجد أن لا أجلك؟ فقال له: إن الله عز وجل يقول في كتابه: (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية، فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات، ثم اتقوا و آمنوا، ثم اتقوا و أحسنوا و الله يحب المحسنين، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد، فقال عمر: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلت عذرا للماضين، و حجة على المنافقين؛ لأن الله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر) الآية (المائدة: 90) ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى، فإن كان من الذين آمنوا و عملوا الصالحات، فإن الله قد نهاه أن يشرب الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: صدقت، ماذا ترون؟ قال علي رضي الله عنه: إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري، وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فجلد ثمانين جلدة.¹⁰

وروى الترميذي عن البراء قال: (مات رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر، قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر، فنزلت الآية..) قال الترميذي: (هذا حديث حسن صحيح)¹¹

فسبب نزول الآية قد أزال الإشكال عنها، حيث خصها بمن مات من الصحابة وهم يشربون الخمر قبل تحريمها، وبه رد ابن عباس على من أخطأ في فهم الآية، فلولا سبب النزول لبقى هؤلاء على خطئهم حيث فهموا من الآية العموم.

4) قوله تعالى (واللاني يسئن من المحيض من نساتكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاني لم يخسن و أولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (سورة الطلاق: 4) فقد أشكل على بعض الناس المراد من الشرط في الآية، حتى فهموا منه أن الأيسة لا عدة عليها إلا إذا ارتابت في الحيض. فهذا فهم خاطيء، ولكن بالرجوع إلى سبب النزول يتبين أن المراد بالشرط مخالف لذلك الفهم، وسبب نزولها ما أخرجه الحاكم عن أبي بن كعب "أنه لما نزلت الآية في سورة البقرة في عدد النساء، قالوا بقي عدد لم تذكر، وهي عدد الصغار والكبار و أولات الأحمال فنزلت الآية.¹²

فبين السبب أن المراد بالشرط إن ارتبتم في حكمهن لا حيضهن كما هو الظاهر من الآية.

ثانيا - أن أسباب النزول تعين على معرفة الحكمة التي من أجلها شرع الحكم.

وذلك أن سبب النزول يحكي الملابس والظروف والأوضاع التي كان الناس عليها قبل تشريع الحكم، فبالرجوع إليه نتعرف على الحكمة التي قصدتها الشارع، ومن الأمثلة على ذلك:

1- قوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) (سورة البقرة: 223). فسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله "أن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول"¹³ فنزلت الآية.

(10) سنن الدارقطني (166/3) كتاب الحدود، وتفسير القرطبي (398/6) وذكر في رواية الحميدي عن ابن عباس أن اسم هذا الرجل "قدامة بن مظعون الجمحي صهر عمر بن الخطاب وواليه على البحرين"

(11) سنن الترميذي (254/5) كتاب التفسير، وراجع: أسباب النزول للواحي ص 204 وجامع الأصول لأبن الأبيير (120/2)

(12) باب النقول في أسباب النزول للسيوطي (172م4)

2- ما رواه البخاري عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) (سورة النساء: 19) قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك.¹⁴

3- ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش - والحش البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضر بني به فجرح أنفي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في - يعني نفسه - شأن الخمر: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)¹⁵ (سورة المائدة: 90)

فبالرجوع إلى أسباب نزول هذه الآيات تتبين الحكم العظيمة من تشريع هذه الأحكام. ففي الآية الأولى التيسير على الناس في جماع نساءهم على أي وجه كان مادام في موضع الحرث، وإبطال لما ألقاه اليهود في أذهان الصحابة من الوهم الباطل. وفي الآية الثانية رفع الظلم عن النساء، حيث كان الناس في الجاهلية يحرمونهن من الميراث مستغلين ضعفهن، وعجزهن، ويضطهدونهن ويسبيئون عسرتهن إذا أردوا التخلص منهن، حتى يفتدين، فحرم الإسلام ذلك إلا إذا أتيت بفاحشة مبينة.

وفي الآية الثالثة تحريم الخمر لأنها تسبب أضرارا كثيرة ومفاسد عظيمة، ومن ضمنها ما حدث بين الصحابة من اعتداء بعضهم على بعض لما شربوها.

فلولا أسباب النزول ما اهتدينا إلى هذه الحكم النافعة على وجه التفصيل، ومعرفة هذه الحكم تزيد المؤمن إيمانا، وثقة في دينه وما شرعه الله له من الأحكام النافعة المبنية على مقاصد عظيمة، وترغب الكافر في الإيمان إذا تبين له سمو التشريع الإسلامي ويسره وسهولته وما اشتمل عليه من المنافع والمصالح والمقاصد الحسنة، وكثير من الناس قد أدهشهم ذلك، فكان سببا في إيمانهم.

ثالثا: أن أسباب النزول تفيدنا في معرفة التدرج في تشريع بعض الأحكام والمراحل التي مرت بها، ومعرفة هذا مهم للدعاة خصوصا الذين يدعون إلى الإسلام في بلاد الكفر فعليهم أن يتدرجوا معهم في تعليم الإسلام والدعوة إليه وتطبيق تعاليمه.

ويدل على ذلك ما رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت التي في المائدة (إنما يريد الشيطان

(13) صحيح البخاري (36/11) تفسير سورة البقرة

(14) صحيح البخاري (55/11) تفسير سورة النساء

(15) صحيح مسلم (1877/4) كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث (43)

أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) إلى قوله: (فهل أنتم منتهون) فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا).¹⁶

فسبب نزول هذه الآيات بين لنا أن تحريم الخمر كان على التدريج، فأية البقرة بينت أن إثم الخمر أكبر من نفعها ولم تحرمها، فالعاقل يدرك من هذا أن ما كان إثمه أكبر من نفعه فالأولى تركه. ثم نزلت آية النساء تنهى عن قربان الصلاة حالة السكر، وفي هذا تقليل لأوقات شرب الخمر، وتعويد للمسلمين على تركها في بعض الأوقات ثم نزلت آيتا المائدة (90، 91) فحرمتها، قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون). فالاستقهام إنكاري بمعنى النهي أي انتهوا، فلذا لما قرئت على عمر رضي الله عنه قال: انتهينا انتهينا. وبعد نزول هاتين الآيتين أراق الصحابة الخمر في الطرق وكسروا دنانها وانتهوا منها، وفي التدرج في تحريم الخمر لطف من الله بعباده حيث لم يفاجئهم بالتحريم من أول لحظة لشيء كانوا يحبونه ويتعلقون به. وفي هذا درس للدعاة أن يتعلموا من منهج الله في تشريع الأحكام، حيث راعى شعور الناس وما ألفوه من العادات فلم يحرم ذلك دفعة، لئلا يؤدي إلى نفورهم، أو حرجهم، وإنما تدرج معهم في ذلك، فقد بقي الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة عشر سنين تنزل عليه الآيات التشريعية بالتدريج حتى أكمل الله للمؤمنين دينهم وأتم عليهم نعمته.

رابعا: أن أسباب النزول تعين على معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وفي هذا تعيين المبهم ومن أمثلة:

1 - قوله تعالى: (وإذ تقول للذين أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) (سورة الاحزاب:

(37

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (انها أنزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة)¹⁷

فإن هذا المنعم عليه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد دلنا على ذلك بب النزول.

2 - قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن

الله سميع بصير) (المجادلة: 1)

روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إنني أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إنني أشكو إليك)، قالت عائشة: (فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) قال: وزوجها أوس بن الصامت. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه¹⁸.

فسبب النزول بين اسم المجادلة وهي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، فمعرفة ذلك تقيدنا في التعرف على الظروف والملابسات التي أحاطت بنزول الآية، وهذا مما يعين على فهمها ووضوح معناها، ويمكن الاستفادة من ذلك في دراسة تاريخ القرآن.

(16) سنن الترمذي (253/5) تفسير سورة المائدة وراجع: أسباب النزول للواحي ص (200) والدار المنثور (252/1)

(17) صحيح البخاري (147/12) تفسير سورة الأحزاب، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي 24، ص 140

(18) المستدرک (481/2)

هذا الأمثلة على أثر أسباب النزول في تفسير القرآن كثيرة وقد اكتفيت بما تقدم رغبة في الاختصار، وللمزيد من ذلك يمكن الرجوع إلى المؤلفات المتخصصة في أسباب النزول.

الخاتمة: حاجة أسباب النزول إلى التمهيد

وبعد؛ فإن المؤلفات الخاصة بجمع أسباب النزول قد حوت ثروة كبيرة من أسباب نزول القرآن تحتاج إلى دراسة وتمحيص من جهة الإسناد، لأنه قد اختلط فيها الصحيح بالضعيف، ودخلت فيها بعض الإسرائيليات والموضوعات، كما تحتاج إلى دراسة متنها لوجود تعارض في بعضها يحتاج إلى توفيق بين الروايات المختلفة، كما أن بعضها يحتوي على أخبار وحوادث غير صحيحة ولا تتفق مع الآية ولا تصلح سببا لنزولها، كما في قصة ثعلبة بن حاطب، وقد ذكرها أكثر المفسرين وملخصها أن ثعلبة بن حاطب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يرزقني ما لا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه، ولكن ثعلبة كرر الطلب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم ارزق ثعلبة ما لا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود، وأنزل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة). (التوبة 103) فأرسل رجلين إلى ثعلبة ليأخذا منه الصدقة، فتردد في الدفع وقال: ما هذه إلا أخت الجزية فأنزل الله فيه قوله: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) الآيات من التوبة (75 – 77) فلما علم جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فلم يقبلها، فمات الرسول صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم فلم يقبلوها، ثم مات ثعلبة في خلافة عثمان، فهذه الرواية رواها أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقد رواها عنه الطبري في تفسيره (14/370 – 374) والواحي في الأسباب (ص 252) والبعوي في تفسيره (3/124) وفي أسانيدهم علي بن يزيد الألهاني قال عنه أبو حاتم: "ضعيف الحديث منكر"، وقال أبو زرعة: "ليس بالقوي" وقال البخاري: منكر الحديث".¹⁹

وقد ضعف ابن حزم إسناد هذه القصة وأبطل معناها فقال: "وهذا باطل لا شك، لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه الصلاة والسلام عند موته أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان، فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافرا ففرض أن لا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي روايته معان بن رفاعه، والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد – وهو أبو عبد الملك الألهاني – وكلهم ضعفاء. ومسكين بن بكير ليس بالقوي²⁰ كما ضعفها السيوطي.²¹

فهذه القصة باطلة لأن ما ورد فيها من معنى مخالف لأصل من أصول الشريعة، وهو أن التائب تقبل توبته ولو بلغت ذنوبه عنان السماء، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والإسلام يجب ما قبله، قال تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) (الأنفال: 38)، ثم كيف يأتي بزكاة ماله للنبي صلى الله عليه وسلم فيردها ثم لأبي بكر فيردها ثم لعمر فيردها، فهل يعقل أن يحصل مثل هذا والله قد أمر بقبض زكاة المسلمين (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) (التوبة:

(19) راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (208/6) وميزان الاعتدال للذهبي (2/161)

(20) راجع كتابه المحلى (11/208)

(21) راجع كتابه: لباب النقول في أسباب (ص 97)

103). وهذه القصة يرددها أهل الوعظ والإرشاد دون نظر إلى بطلان سندها وممتنها ومخالفتها لأصل من أصول الشريعة.

من هذا وغيره يتبين لنا أن اسباب النزول تحتاج إلى كثير من الدراسة والتمحيص والمناقشة، فليس كل ما جمع من الأسباب صحيحاً، وقد قام بعض الباحثين بدراسة بعض أسباب النزول سنداً وممتناً والحكم عليها، وأملّي أن تتوسع هذه الدراسة المفيدة حتى تغطي جميع ما روي في أسباب النزول، ففي ذلك خدمة عظيمة لكتاب الله وفائدة كبيرة لدارسي تفسيره.

والله اعلم

المراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. مجلدان طبع بولاق - بالقاهرة 1275 هـ.
الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جزءان مصطفى الحلبي بالقاهرة - ط/3 - 1370 هـ - 1951 م
الأعلام للزركلي - طبع دار العلم للملايين - بيروت - ط/ه - 1980 م
البرهان في علوم القرآن للزركشي أربعة أجزاء. عيسى الحلبي ط/2 - 1391 هـ / 1971 م
تفسير القرآن العظيم لابن كثير، أربعة أجزاء مطبعة دار إحياء الكتب العربية - لعيسى الحلبي بالقاهرة
جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري رجعت إلى طبعتين: دار المعارف بتحقيق محمود شاكر وأخيه،
وطبعة الحلبي الثانية 1373 هـ - 1954 م
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، عشرون جزءاً - دار الكاتب العربي ط 3 - 1387 هـ
جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (ت 606 هـ) تحقيق عبد القادر الارناؤوط - نشر مكتبة الحلواني
ط/1 - 1389 هـ
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (327) طبع دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن - الهند - ج 1/1 - 1372 هـ.
الدار المنثور للإمام السيوطي، طبعة إيرانية
سنن الترميذي (ت 297 هـ) طبع مصطفى الحلبي - بمصر - ج/1 - 1385 هـ.
سنن الدارقطني (ت 385) تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر
1386 هـ
صحيح البخاري، طبع دار الشعب - بالقاهرة 1379
صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع عيسى الحلبي، بالقاهرة - ط/1 - 1375 هـ / 1955 م
طبقات المفسرين للداودي (ت 945 هـ) تحقيق علي محمد عمر - مطبعة الاستقلال الكبرى - ط/1 - 1392 هـ
فتح الباري - شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر العسقلاني، ثلاثة عشر جزءاً، المطبعة السلفية، بالقاهرة
القاموس المحيط للفيروزا بادي المطبعة الحسينية المصرية - 1364 هـ - 1919 م
كشف الظنون لحاجي خليفة - طبع وكالة المعارف بأستنبول 1364 هـ
لسان العرب لابن منظور المطبعة الأميرية، بالقاهرة - ج / 1 - 1300 هـ

معالم التنزيل، للبغوي، بهامش تفسير ابن كثير، مطبعة المنار، - بالقاهرة - 1945 م
المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة
مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. المطبعة السلفية - بالقاهرة - ط/2 - 1385 هـ
منهج الفرقان في علوم القرآن لمحمد علي سلامة، مطبعة شبرا - 1938 م بالقاهرة
المحلى لابن جزم (ت 456 هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر - طبع دار التراث بالقاهرة
ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (ت 748 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي طبع دار المعرفة - بيروت.